مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٥) العدد (٣)
الإصدار السابع عشر
٢٠٢٤ (١٠-١)

مظاهر الجمال في ضوء القرآن الكريم

د. ليلي بنت محمد بن سليمان العقيل

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يوليو ٢٠٢٤م

*** المقدمة**

القرآن الكريم كلام الله الحق الخالد الذي أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير.. ومعجزة الله الكلامية التي تحدى بها فحول البلاغة وأساطين البيان، فعجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة فيه، وخروا لجماله وجلاله، وإعجازه وكماله ساجدين، وعلى الرغم من أن المقصود الإسلامي في نزوله، أن يكون هداية للبشرية.

ومنهج تشريع للأمة، فإنه لا يعد كتاب دين ودعوة فحسب، إنما هو أيضاً كتاب أدب وبيان، وهو بحق أبلغ كتاب عرفته الدنيا في عالم الأدب وميدان البيان، حيث وصفه المرحوم الشيخ أمين الخولي بأنه ((كتاب العربية الأكبر))وأثرها الأدبي الأعظم الذي خلّد العربية، وحمى كيانها، فصار فخرها، وزينة تراثها.

في سياق السعي وراء استكشاف بيان أوجه جمال القرآن وروعة القيم الجمالية في كلماته وعباراته وأسلوبه ونظمه المعجز البديع، يأتي بحث ((الجمال في الكتاب والسنة))

*** أهمية الموضوع**

١- التعرف على المنهج القرآني والمنهج النبوي في تحديد مفهوم الجمال، والإفادة من ذلك في بناء حضارتنا الإسلامية.

٢- إدراك عظم منهج الإسلام، واهتمامه بكل شأن من شؤون الحياة المادية.

٣- إبطال النظرة الغربية، ودحض الافتراء التي تصف المسلمين بالتأخر عن مواكبة الحضارة، وبيان أن الإسلام هو مصدر الحضارات كلها.

٤- بيان منهج الإسلام في التجمل، والاهتمام بالمظهر كما أنه يهتم بالجوهر

*** أهداف البحث**

١- بيان اهتمام الإسلام بالجمال، واعتباره جزءاً من مفاهيم الإسلام الثابتة.

٢- التأصيل لبعض المسائل؛ التي يظنها بعض الناس اتباعاً للغرب ومخالفة شرعية، مثل التجمل والتزين للوفود، وإنزال الناس منازلهم، والاهتمام بالمظهر، وإظهار أثر نعمة الله على عبده.

*** منهج البحث**

سأستخدم في هذه الدراسة المنهج التكاملي والمتضمن: -

١- المنهج الوصفي من خلال دراسة جوانب الموضوع وعرضها بأسلوب مناسب.

٢- المنهج التحليلي من خلال استخدام تنظيم معين للوصول إلى الحقائق وتوضيحها.

٣- المنهج النقدي من خلال قراءة النصوص، وتمييز الأقوال، ومعرفة مداخل الخطأ والزلل فيها أما من الناحية الفنية فسألتزم بالآتي: -

أما من الناحية الفنية فسألتزم بالآتي: -

١- عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابة الآية بالرسم العثماني نسخة مصحف المدينة المنورة.

٢- تخريج الأحاديث والآثار الواردة من مصادرها الأصلية؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بتخريجه منهما بذكر الكتاب والباب أو الكتاب والحديث، وإن كان في غيرهما بينت درجته من كتب التخريج المعتمدة.

٣- عزو الأشعار لقائليها، وذكر مصادرها من دواوين الشعر المعتمدة.

٤- عزو نصوص العلماء وآرائهم المنقولة لكتبهم مباشرة.

٥- الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث على النحو التالي:-

١- الترجمة لمن يذكر على وجه الأصالة بأن يكون صاحب تعريف أو قول أو نص منقول كالتالي: ذكر اسمه، فكنيته أو ما يتميز به، فتاريخ مولده، ووفاته. ومذهبه، أو مدرسته الفكرية، وما اشتهر به من مؤلفات أو نظريات أو نحوها. ويوثق بمرجع الترجمة ومؤلفها والجزء والصفحة وذلك كله بما لا يزيد عن ثلاثة أسطر.

٢- الترجمة للأعلام الغربيين المعاصرين الذين لا يوجد لهم تراجم في الموسوعات تكون كالتالي: -

١- من مواقعهم الرسمية إن وجدت.

٢- من مقدمة المترجم إن وجدت.

٣- من تعريف دار النشر المكتوب عن المؤلف.

٤- عدم الترجمة للأعلام المشهورين، كالخلفاء الأربعة والأئمة الأربعة.

٥- عدم اعتماد الموسوعات الإلكترونية المفتوحة مثل "الويكبيديا"

٦- الاقتباس: يراعى في الاقتباس ما يلي: -

يتبع في اقتباس النصوص المنقولة ما يلي: -

١- وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿.....﴾

٢- وضع الأحاديث النبوية والآثار بين قوسين كبيرين هلالين ((.....))

٣- النقول الأخرى المنقولة بالنص بين قوسين صغيرين مزدوجين".....".

يتبع في توثيق الاقتباس في الحاشية ما يلي: -

١- تكون الإحالة على المصادر في حال النقل بالنص: بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، وفي حال النقل بالمعنى: بذكر ذلك مسبوقاً بكلمة (انظر).

٢- في حال تكرار الإحالة على المرجع بدون فاصل يكتفى بذكر كلمة: المرجع السابق والصفحة.

٣- المعلومات المتعلقة بالمراجع (الناشر- رقم الطبعة – مكانها– تاريخها) يكتفي بذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

٧- العناية بضبط الألفاظ، والاعتناء بصحة المكتوب لغوياً وإملائياً ونحوياً.

٨- العناية بعلامات الترقيم ووضعها في مكانها الصحيح.

الفهارس: وتشتمل: فهرس الآيات، فهرس الأحاديث، فهرس الأعلام، فهرس المراجع، فهرس الموضوعات.

*** التمهيد**

*** التعريف بالجمال**

*** تعريف الجمال لغة**

لتعريف الجمال الذي يرد استعماله مترادفا مع الحسن لا بد لنا أن نعود إلى المعاجم العربية: -

فقد جاء في الصحاح للجوهري (ت:٣٩٣) الجمال الحسن، والجمّال بالتشديد أجمل من الجميل، وجمله زينه والحسن: نقيض القبح وحسنت الشيء تحسينا زينته، والحسنة: خلاف السيئة [١].

ويوضح أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥) الفرق بين كلمتي الحسن والجمال فيقول: "والحسن في الأصل للصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصورة"[٢].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت:٥٣٧) :" انظر إلى محاسن وجهه، وما أبدع تحاسين الطاووس وتزاييِنه، وأحسن الله خلقه، وحسن الحلاق رأسه: زينه" [٣].

وقال ابن منظور [٤]:(ت: ٧١١) الجمال مصدر الجميل، والفعل جمل، وقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)﴾ [٥] أي بهاء. [٦].

قال ابن سيدة: "الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق، وقد جعل الرجل بالضم جمالا، فهم جميل وجمال بالتخفيف"[٧].

من خلال هذه التعريفات تتضح الملاحظات الآتية:-

١- الجمال صفة يمكن بها وصف الفعل والخلق، وهو ما أكده ابن سيدة فهو يشمل الشكل والمعنى، ويمكن أن نصف شكلا بالجمال كما يمكن أن نصف خلقا به.

٢- الحسن ضد القبح، إذا لا أصف ما اصطلح على قبحه بالجمال، على عكس ما ذهبت إليه النظريات الغربية من إمكانية وصف الأمور القبيحة بالجمال.

٣- الحسن سمة إضافية للشيء توصله الى الكمال أو تقربه منه.

٤- ترد الكلمتان (الحسن الجمال) مترادفتين في كتب اللغة مع أن الحسن في الأصل كان للصورة، ثم استعمل للأفعال والأخلاق والجمال في الأصل للأفعال، ثم استعمل للصورة،

---

(١)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ٢٠٩٩

(٢)معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة ص١٦٦

(٣)أساس البلاغة ١/ ١٩٠.

(٤) محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي أبو الفضل المعروف بابن منظور، صاحب لسان العرب الإمام اللغوي الحجة أصله أن صاري ولد بمصر. الزركلي، الأعلام، ط ١٥، ٢٠٠٢، ١٠٨/٧.

(٥) النحل: ٦

(٦)لسان العرب ١١/ ١٢٦.

(٧)المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٤٥٠

فيقال خلق حسن وتصرف حسن؛ وخلق جميل وتصرف جميل.

*** تعريف الجمال اصطلاحا**

أورد العلماء تعريفات عدة متقاربة للجمال، بينها بعض التفاوت.

جاء في معجم لغة الفقهاء: الجمال بأنه صفة تلحظ وتستحسنها النفوس السوية [٨]. وقال ابن الأثير [٩] والجمال يقع على الصورة والمعان، ومنه حديث: (إن الله جميل يحب الجمال) أي حسن الأفعال كامل الأوصاف [١٠]

وقال الجرجاني [١١]: الجمال من الصفات ما يتعلق بالرضاء واللطف [١٢] فالجمال عنده جمال الباطن لأنه علقه بالرضا واللطف، أما الكفوي [١٣] فعرف الجمال بأنه الزينة واستدل بقوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)﴾ [١٤] أي زينة، وقال: الجميلة هي التي تأخذ ببصرك على بعد [١٥] والذي يظهر من كلامه أن الجمال عنده يختص به الأمور الظاهرة المحسوسة.

أما بالنسبة لتعريف الجمال عند المفسرين عرفه القرطبي عند تفسيره قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)﴾ [١٦] فقال الجمال ما يُتجمل به ويُتزيّن، والجمال: الحسن [١٧]

وقال الألوسي قوله (جمال) زينة في أعين الناس وعظمة وجاهة عندهم، واليه شهور إطلاقه على الحسن الكثير ويكون في الصورة بحسن التركيب وتناسق الأعضاء وتناسبها، وفي الأخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة وفي الأفعال بكونها ملائمة للمصلحة من درء المضرة وجلب المنفعة [١٨]

وقال ابن عاشور [١٩] أثناء تفسيره قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [٢٠] الجمال حسن الشيء في الصفات محاسن صنفه،

---

(٨)إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (بيروت: دار النفائس، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م) ٢٢٠/١، حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء دار النفائس، لبنان بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)، ٢٠٠/١

(٩)هو: المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات المعروف بابن الأثير، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي، ولد سنة (٥٤٤) ونشأ في جزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل له كتب كثيرة منها، (النهاية في غريب الحديث) و (جامع الأصول) و غيرها توفي سنة (٦٠٦هـ)، الزركلي، الأعلام، ط ١، ٢٠٠٢ م، بيروت: دار العلم للملايين)، ٢٨٢/٥.

(١٠)النهاية في غريب الحديث ٢٩٩/١

(١١)علي بن محمد بن علي الشريف، الجرجاني، من كبار علماء العربية ولد في تكو سنة ٧٤٠هـ، توفي في شيراز سنة ٨١٦ هـ الزركلي الأعلام، ٥/٧.

(١٢) التعريفات، ص ٨٢

(١٣) الكليات، ص٢٩٦

(١٤)النحل: ٦

(١٥) السابق نفسه

(١٦)النحل: ٦

(١٧) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي١٠١/٤

(١٨) روح المعاني ٩٩/١٤.

(١٩)محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر، كتب ومؤلفات كثيرة منها شفاء الجريح و الغيث الأفريقي توفي سنة ١٢٨٤. الزركلي، الأعلام، ٦ / ١٧٣.

(٢٠)يوسف: ١٨

فجمال الصبر أحسن أحواله وهو ألا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته [٢١].

وقيل في تعريف الجمال في العصر الحالي أنه: –

١– هو البهاء، وكثرة الحسن، ورقته ويقع على الصور والمعاني، ويترك في النفس البشرية إحساساً بالبهجة والسرور والدهشة [٢٢].

٢– والجمال محبوب لذاته، لا لشيء آخر، ومنفعة الإنسان منه هي متعة نظره، أو سمعه، أو شمه، أو عقله، وفي هذا تلبية من تلبية حاجات النفس الفطرية [٢٣].

وخلاصة القول في تعريف الجمال أن هناك صعوبة في تعريفه لأن له معان متعددة، فهو لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره، حيث نستطيع رؤيته في الإنسان، وفي الأشياء، وفي الأفعال والتصرفات، وهذا يعني أنه قد يكون في الشكل والمظهر، وقد يكون في الفعل والخلق.

فإن كان في الشكل كان الجمال مقابلا للقبح وضداً ونقيضاً له، وإن كان في الفعل والخلق كان بمعنى الرضا واللطف، والجمال بمعني عدم القبح، وفي كلا المعنيين للجمال عدم القبح وعدم الرضا واللطف يجتمع البهاء والحسن والخلق الرفيع، وما دام (الجمال) معنى فليس بالإمكان ضبطه بالوصف أو الكم أو الكيف، الأمر الذي يحول دون إنتاج تعريف له، إضافة إلى اختلاف الأفراد في تقديرهم للجمال، وكذلك في درجة تذوقهم له.

*** الجمال والألفاظ ذات الصلة**

*** الألفاظ المستعملة للتعبير عن المعاني الجمالية**

القرآن هو تجربة جمالية أساسية للمسلمين، حيث تعكس التلاوة الشجرية للقرآن أصله الإلهي وهدايته. يستخدم القرآن أدوات أدبية مختلفة، كالقافية والإيقاع والتلويح والاستعارة والصور ، لإيصال رسالته بطريقة جميلة وفعالة.

يُظهر القرآن أيضًا ارتباطًا وثيقًا بين الصوت والمعنى ، حيث تعزز الصفات الصوتية للغة القرآنية قيمتها الدلالية وتفسيرها. كما تلعب قواعد التلاوة دوراً في إيصال الهداية القرآنية وإحداث تأثيرات سمعية.

ومن المصطلحات المستخدمة للتعبير عن المعاني الجمالية في القرآن: الزينة ، الحسن ، البهجة. تعكس هذه المصطلحات جوانب مختلفة من النداء الجمالي للقرآن وتأثيره على متلقيه.

أولا: مصطلح الزينة

أصل لفظ الزينة من الفعل الرباعي السماعي(زيّن)، وهو مضاد للشين، والمعنى: حسن الشي وجمله وزخرفه، ومنه تزيين الأمر أي تحسينه وترغيبه للشخص، ومنه تزيين الشيطان: أي وسوسته.

وقد عرف لفظ الزينة بتعريفات منها: –

١– "ما يتزين به الإنسان من لبس وحلى وأشباه ذلك"

(٢١) التحرير والتنوير١٢/٢٣٩.
(٢٢) ينظر المدني، أزهار محمود صابر، أحكام تحميل النساء في الشريعة الإسلامية السعودية، دار الفضيلة، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، ص ٥٦

(٢٣) ينظر: عبد الغفور، محمد أحمد الجمال في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية (رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٩م)، ص٣.

*** مظاهر الجمال في القرآن الكريم**

*** جمال خلقة الإنسان.**

عندما نتأمل المخلوقات الطبيعية نجد أنها تتسم بالعديد من الصفات المختلفة والمتنوعة سواء في النسب والتكوين أو الشكل الحجم وهذا التنوع هو ما يسبب للإنسان الإحساس بالتغيير و المتعة وهذا ينطبق علي كل جنس من المخلوقات فنجد أن الإنسان في مراحل عمره المختلفة يختلف ويتغير شكله أكثر من مرة فشكله وهو طفل يختلف عن شبابه يختلف عن كهولته فكل مرحلة يتمتع بها الإنسان بكشل مختلف، وهو ما ينطبق علي كل المخلوقات ففي كل طور من أطوار النمو يختلف شكل المخلوق هذا بالاضافة إلى الألوان التي خلقها الله في الطبيعة والتي لا تقتصر علي مخلوق دون الإضرار والألوان ما تسبب نوع من البهجة للإنسان، والطبيعة المعلم للإنسان في اختيار الألوان وتوزيعها وتناسقها.

وثمة آيات تؤكد جمال المظهر للإنسان منها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) ﴾ [٢٤] وبذلك يكتمل جمال الظاهر والباطن للإنسان.

ومن الطبيعي أن يكثر ذكر الإنسان المستخلف في القرآن الكريم، وتكثر الإشارة إلى تكريمه و حسن صورته وحتى مراحل خلقه التي شرحت بالتفصيل في القرآن ظلت حكرا على كتاب الله إلى أن جاء الاكتشاف العلمي، و أثبتت تجاربه و أبحاثه هذا الإعجاز العظيم، يقول جل من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فتبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [٢٥]

وقد يضيق المجال هنا عن استقصاء مواطن الجمال في خلق الإنسان، الذي جعل محور هذا الوجود و سخر له كل ما في الطبيعة من مظاهر لخدمته.

*** جمال الكون**

ونعني جمال الطبيعة: الجمال الذي تتصف به كل مخلوقات الله وتقادىره على هذه الأرض، فكل ما خلا صنيع الإنسان هو جمال طبيعي، وكل ما صنعه الله يتسم بالجمال و الإتقان يقول تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [٢٦]

ولو رجعنا إلى الإمام الطبري: لوجدناه يرجح تفسير الآية بفتح اللام في (خلقه) ثم يميل إلى قول من قال: معناه أحكم وأتقن؛ لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان، أو معنى التحسين، الذي هو في معنى الجمال والحسن، فلما كان في خلقه ما لا يشك ي قُبحه وسماجته، علم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته [٢٧] وإلى هذا الرأي يذهب جمهور المفسرين (أي الإتقان والإحكام)ذلك لأن في مخلوقات الله من لا يتصف بالجمال، و لكنه أحكم خلقه، أي موافق للحكمة من خلقه، أما من حمله على حسن الصورة، فقد جعله من باب العام المراد به الخصوص، فيكون المقصود الأشياء التي كانت بهذه الصفة،

(٢٤) غافر: ٦٤
(٢٥) المؤمنون: ١٢-١٤
(٢٦) السجدة: ٧
(٢٧)تفسير الطبري جامع البيان - ط هجر ١٨/ ٥٩٩

وليس جميع ما خلقه الله يكون بهذه المثابة من جمال الصورة [٢٨] .

وينقسم الكون إلى: -

١- الطبيعة غير الحية: وهي مظاهر الكون التي لم تبث فيها، روح، كل ما هو جامد: السماء، و اليابسة، والبحار، و ما يوجد في هذه العوالم من مخلوقات.

٢- السماء: فالسماء التي ننظر إليها برهبة تخالطها رغبة في الاقتراب منها و معرفة أسرارها و الإحاطة بهذا الامتداد، الذي يعجز البصر، فيرده خاسئا، خلقها الله و الأرض في ستة أيام ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [٢٩]، يدعونا القرآن الكريم إلى النظر إليها، و التفكر في عظمة هذا الخلق كيف أقامها و رفعها؟ و كل سقف في هذا الوجود يحتاج رفعه إلى عمد، أما السماء فقد خلق بغير عمد مرئية: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [٣٠] و لعل في كلمة "تروها" ما قد يكشف عنه العلم يوما (ولعله فعل) [٣١] .

٣- الأرض: ومن الوجود غير الحي (الأرض) التي خلقها والسماء في ستة أيام ثم استوى إلى العرش، و يشرح البيان الإلهي كيفية خلقها كما شرح خلق السماء فيقول: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٣٢]

فقد تمت عملية المد و ثبت الأرض بالرواسي (و) خبراء البناء يعلمون أنه لابد لأي بناء من تثبيته (بالأوتاد كي تثبت و لا تتحرك، ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُم ﴾ [٣٣] و لابد أن البشرية اهتدت إلى طريقة البناء المحكم من الباني الأعظم، و بعد عملية المد و التثبيت، يأتي ما سماه البيان الإلهي "الفرش" في قوله ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [٣٤] وفي هذه اللفظة "الفرش" جمالية لا تخفى، فهذا الكوكب العظيم الذي كونه المولى، بأفضل تكوين، حتى يكون مريحا ملائما لسكن الإنسان، و من وسائل الراحة و العيش على هذه الأرض فرشها بالجبال و التراب و الأنهار، و البحار، و الصخور ...و بالأشجار و النباتات التي توشيها و ليتفكر الذهن في لفظة "ماهدون" التي دلت على معنى الرفق و العطف على الإنسان الذي مهدت له هذه الأرض و سويت.

٤- البحار والمحيطات: وكثيرة تلك الآيات التي تحدثت عن جمال البحار و المحيطات، قال عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣٥] .

إن الجمال الذي تتسم به البحار والمحيطات ليس فقط في أنواع الحلي التي تستخرج ما عرفه الإنسان، و ما لم

(٢٨) ينظر: المباركفوري صفي، الرحمن، و جماعة من العلماء: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، الإسلامية، دار السلام، الرياض، ٢٠١٣ م - ١٤٣٤هـ، سورة السجدة من الآية: (٧).
(٢٩) الحديد:١٥٧
(٣٠) لقمان:١٠
(٣١) دناور، فطيم أحمد، مفهوم الجمال ومعانيه في الفكر الإسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها - كلية الآداب، ع٤١ , ج٢، ص٦٦٠.
(٣٢) ق: ٧
(٣٣) النحل:١٥
(٣٤) الذاريات: ٤٨
(٣٥) النحل: ١٤

يعرفه –بعد وحسب بل الجمال الأكبر هو في امتداده و اتساعه امتدادا يتحدى النظر، و يذكره بعجزه عن الإحاطة بروعة صنيع الخالق، ولذا قال وترى "الفلك و لعل في مرأى الفلك تمخر عباب البحر من الجمال ما حرك أقلام الروائيين، و ألهب قريحة الشعراء والرسامين.

٥- النباتات والحدائق: كل مخلوقات الله تعالى من النبات والحدائق والأشجار والجبال مصادر للجمال والبهجة في الكون، وقد خلق الله تعالى الحدائق والنباتات والأشجار بالإضافة إلى ما فيها من المنافع المادية فيها من جانب البهجة والسعادة والجمال وما يضيفه على النفس والروح من استقرار وهدوء وتوافق نفسي [٣٦] .

فقد دعانا القرآن الكريم إلى النظر والاستمتاع بالجمال حتى في الأشياء التي تشتهي وتؤكل كالنخل والأعناب والزيتون والرمان فقال تعالى: ﴿ وهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ ﴾ [٣٧]، فقال في هذا الموضع: انظروا بعين مفتوحة وحس مستشرف للجمال، ولم يقل كلوا مع أن النبات والثمر والخضر والحب والأعناب والزيتون المذكورة في الآية من المأكولات الشهية؛ لأن المعرض هنا معرض الجمال المبثوث في هذه الكائنات الحية والعبرة بقدرة المبدع المطلق، كما أنه مجال تدبر آيات الله تعالى، والمجالان يقتضيان النظر بالحس البصير، والقلب اليقظ إلى ثمر النبات إذا أثمر في ازدهاره نظر استمتاع بالجمال ونظر استدلال على وجود الخالق وقدرته [٣٨] .

وحينما يدعونا القرآن إلى النظر في مشاهد الطبيعة حولنا؛ لنقف على جميل صنعه، ودلائل قدرته، لا يهمش الاستمتاع بجمال صنعه أيضاً، كما في الآية السابقة الخامسة من سورة الحج، حيث فيها وصف بديع للطبيعة في جمالها وحركتها ونبضها بالحياة بعد نزول الغيث من السماء، وفيها تدليل على قدرة الله تعالى الخارقة وعلى بعثة الحياة في الأرض اليابسة بماء يتزله من السماء فإذا بها تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، وفي هذا تجسيد حي لقدرته – سبحانه– على إحياء الموتى [٣٩].

ويوجه القرآن النظر إلى جمال الكون والسموات من خلال النظر والتذوق العابر الذي يستتبعه الإحساس بجمال الشكل الذي يضيء الذهن ويوقظ الحواس ومنافذ الروح من خلال صور جمالية كونية كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ وحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [٤٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيَا بِمَصَابِيحَ

(٣٦) ينظر: رفاعي، أنصار محمد عوض الله." الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة حلوان ٢٠٠٢، ص ٣٢٩.
(٣٧) الأنعام: ٩٩
(٣٨) ينظر: المحص، عبد الجواد محمد الجمال في القرآن الكريم، مفهومه ومجالاته، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ص ٢٥، محمد قطب منهج الفن الإسلامي، بيروت، دار الشروق، د.ت، ص٢٧، رفاعي، أنصار محمد عوض الله الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، ص ٣٣٠.
(٣٩) ينظر: المحص، عبد الجواد محمد الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص ٢٤
(٤٠) الصافات: ٦- ٧

وجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [٤١] ؛ لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود وذكر القرآن – هنا أن المصابيح التي زين الله تعالى بها السماء الدنيا لها وظيفتان وظيفة جمالية، وشهد النجوم في السماء جميل جمالاً يأخذ بالقلوب وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد أوقاته.

والوظيفة الثانية هي رجم الشياطين في صورة شهب تحفظ السماء من كل شيطان متمرد وتدفعه عن الاستماع إلى ما يدور في الملأ الأعلى [٤٢].

*** جمال الحيوانات**

الإسلام لا يحتقر مخلوقا من مخلوقات الله مهما صغر شأنه، لأن المسلم يدرك أن كل ما خلق على هذه الأرض يسبح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٤٣].

وسوف أتناول الحديث عن جمال الحيوان في القرآن الكريم من خلال هذه الآيات فقط لكونها اشتملت على لفظ الجمال الذي هو محل بحثنا قال تعالى: ﴿ وَالْأَنعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ [٤٤]

وردت كلمة جمال بهذا اللفظ مرة واحدة في القرآن الكريم [٤٥] في هذه الآية فقط وذلك في سياق جمال امتنان الله عز وجل على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع، وما لهم فيها من الجمال وقت رجوعها ووقت ذهابها غدوة إلى المرعى، قال الإمام الطبري: القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [٤٦]

يقول تعالى ذكره: ولكم في هذه الإنعام والمواشي التي خلقها لكم ﴿ جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ يعني: تردونها بالعشي من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوي إليها، ولذلك المكان المراح، لأنها تراح إليه عشيا فتأوي إليه، يقال منه أراح فلان ماشيته، فهو يريحها أراحة. وقوله ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾

يقول: وفي وقت اخراجكموها غدوة من مراح إلى مسارحها، يقال منه سرح فلان ما شيته يسرحها تسريحا، إذا أخرجها للرعي غدوة، وسرحت الماشية: إذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا، فالسرح بالغداة، والإراحة بالعشي وبند و الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل [٤٧]

---

(٤١) الملك: ٥

(٤٢) المحص، عبد الجواد محمد الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص٢٩-٢٨، محمد قطب منهج الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦، رفاعي، أنصار محمد عوض الله، " الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي"، ص٣٢٨.

(٤٣) الإسراء:٤٤

(٤٤) النحل:٥-٨

(٤٥)انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٢٥ وينظر معجم ألفاظ القرآن الكريم حسان عبد المنان، ص ٢٤٠

(٤٦) النحل: ٦

(٤٧) أنظر: الطبري، جامع البيان، ٥٦٠/٧

وقال ابن كثير: وقوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [٤٨] وهو وقت رجوعها عشيا من المرعى فإنها تكون أمده خواصر وأعظمه ضروعا وأعلاه أسنمة ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ أي غدوة حين تبعثونها إلى المرعي" [٤٩]

وأكثر من ذلك ما قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير وذلك عندما تساءل عن سبب تقدم الإراحة على التسريح فان قيل: لم قدمت الإراحة على التسريح ؟ قلنا لأنها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع، ثم اجتمعت في الحظائر حاضرة لأهلها بخلاف التسريح، فإنها عند خروجها إلى المرعى تخرج جائعة عادمة اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار فظهر أن الجمال في الإراحة أكثر منه في التسريح، وله ذا فرحت أربابها وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها [٥٠]

وهكذا يشير الرازي إلى جمالية التملك عند الإنسان، يقول الشامي:" والملاحظ أن النص القرآني يؤكد على العنصر الجمالي مرتين: مرة في قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ ومرة ثانية ﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ وبهذا تكون الآيات قد أكدت على أهمية هـــذا الجانب باعتباره عنصرا أصيلا وضع على قدم المساواة مع المنافع الأخرى" [٥١]

وقال الزمخشري:﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [٥٢] مَنَّ الله بالجمال بها كما من بالانتفاع بها، لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو م ن معاظمها، لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة – فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها، وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح ؟ قلت: لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها [٥٣]

*** الخاتمة**

وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، والتوصيات.

*** الفهارس**

وتشتمل: فهرس الآيات، فهرس الأحاديث، فهرس الأعلام، فهرس المراجع، فهرس الموضوعات.

---

(٤٨) النحل: ٦
(٤٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٥٨٢
(٥٠) الرازي، مفاتيح الغيب، ١/ ٢٣٣
(٥١) الشامي، صالح أحمد ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام (الطبيعة -الإنسان -الفن) بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨، ص٦٤

(٥٢) النحل: ٦
(٥٣) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١٤٢٩، ١هـ - ٢٠٠٨م، ٤٣/٢